

تفسير أبي السعود

طه 78 80 ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا إنا لمدركون فأتبعهم فرعون
بجنوده أي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال أتبعتهم أي تبعتهم وذلك إذا كانوا سبقوك
فلحقتهم ويؤيده أنه قرئ فأتبعهم من الافتعال وقيل المعنى أتبعهم فرعون نفسه فحذف
المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فأتبعهم فرعون جنوده أي سافهم خلفهم وايا ما
كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمرة قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وإيدانا بكمال مسارعة
موسى E إلى الامتثال بالأمر أي ففعل ما أمر به من الإسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فأتبعهم
فرعون بجنوده برا وبحرا روي أن موسى E خرج بهم أول الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفا
فأخبر فرعون بذلك فأتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقصر أثرهم فلحقهم بحيث
تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب E بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود
العظيم فعبر موسى E بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشاهم من اليم ما
غشاهم أي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الأمر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه
وقيل غشاهم ما سمعت قصته وليس بذاك فإن مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم
والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الـ عز
وعلا أو ما غشاهم وقيل فرعون لأنه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الإظهار في قوله تعالى وأضل
فرعون قومه أي سلك بهم مسلكا أداهم إلى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث
ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الآخروي وقوله تعالى وما
هدى أي ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لإضلاله
وتأكيد له إذ رب مضل قد يرشد من يضلّه إلى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله وما
أهداكم إلا سبيل الرشاد فإن نفي الهداية عن شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في
الجملة وذلك إنما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الإضلال والهداية على ما يختص بالديني
منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده إلى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الإضلال في
البحر والإنجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني إسرائيل حكاية لما خاطبهم الـ تعالى
بعد إغراق فرعون وقومه وإنجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما أفاض عليهم من فنون
النعم الدينية والدنيوية ما أفاض وقيل هو إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي A
على معنى أنه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم أصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من
قوله تعالى وما أعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الإنشاء فالوجه